نبض النيل ..

يحيى حقي

تأليف

محمد محمود القرشي

إصدارات الجمعية الوطنية
لرعاية المبدعين بالمحلة الكبرى

نبض النيل ..

يحيى حقي

تأليف : محمد القرشي

إصدارات الجمعية الوطنية
لرعاية المبدعين بالمحلة الكبرى

ذو هِمَّةٍ سَبَقتْ به وولاءِ = في صِدْقِهِ يَعْلو على الجَوْزاءِ

يحيى فأحيا من منابع فنِّهِ = مِنْ كلِّ معْنىً صادقٍ ووفــاءِ

نجمٌ أضاءَ الفنَّ من إبداعِه = شمساً ضَوَّتْ في أفقها الــلألاءِ

عِطرُ الأحبَّةِ فاحَ من أنفاسِهِ = يَسِمُ الطِّباعَ بطبْعِهِ الضَّــوَّاءِ
هذا المُتَيَّمُ في الجمال بروحِهِ = هذا الأميرُ ، ودُرَّةُ الأمراءِ

المقدمة :

عاش يحيى حقي بروح طفل وبقلب ورع ، بينما عقله عقل الباحث عن الحقيقة دائما من أجل الأفضل لأبناء قومه أولا ، ثم العالم والإنسانية كلها ، زاده ودرعه إحساسه المبدع وخياله الخصب ، فلم يعرف سوى دروب الفضيلة والجمال ، فلم يهتم بشهرة عريضة ، ولم يسع إلى بريق خادع ، فقضى حياته كلها من أجل سعادة الإنسان بصفة عامة والمهمشين بصفة خاصة ، فكانت قضيته الأساسية هي " التعاطف الفاعل"

ومن هذا التعاطف الفاعل بذل الكثير من زاد رحلته من أجل الآخرين وتقدمهم على كافة المستويات من أجل أن تربح أمته فنا وفكرا وخصوبة حياتية من خلال تفرع الجذر إلى جذور ، وتفرع الفروع إلى فروع ، كل منها يحمل أجود الثمار في شموخ وإباء .

عاش يحيى حقي وديعا بسيطا متواضعا ، لم يغضب قط إلا من أجل كرامة الإنسان ، ولم يحركه قط سوى رفاهية الإنسان ، فوهب حياته لقلمه قاصا ومترجما وناقدا ومطورا لكافة الفنون ، فلم يعش في برج عاجي ، بل عاش بين الشعب متمسكا بأخلاق حارة الميداء بالسيدة زينب - رضي الله عنها - بجوار سيدي الحنفي ، تلك الحارة التي لم تعرف سوى الحب والانتماء والهدوء والسكينة ، إنها " لوحة شعبية" فلم يصبح يحيى حقي القدوة الفريدة للكاتب من فراغ

، إنه أدرك قيمة الكلمة مبكرا فأسس إمبراطوريته من لبنات التراث مع إلمام متدفق بقضايا العصر ومتغيراته بينا عينه على المستقبل .

عاش يحيى حقي لا يهمه سوى الصدق والوفاء محبا لكل الفنون ، فلم ينصف القاص على الشاعر ، بل ربما تحيز للأخير وأنصفه ، وربما لم يحدث هذا من قاص سواه . عشق الظل من أجل التأمل والعمق ، فأضاف إلى مجده الكثير من العطاء على يد تلاميذه بعد وفاته .

عاش يحيى حقي بملامح أجنبي وقلب مصري خالص ارتوى من النيل بخصب وافر فطرح جمالا وفكرا فريدا لا يعرفان سوى الخلود ، خلود امتص رحيق من سبقوه من أمثال الجاحظ والجرجاني مرورا بالعقاد وطه حسين والمازني ومحمود تيمور ، وحتى معاصريه من أمثال نجيب محفوظ وحسين فوزي ، بالإضافة إلى الكتاب الغربيين ليطرح عسلا مصفى لا يدركه البلى أو الذوبان .

إنها سبعة وثلاثون عاما التي قضاها يحيى حقي على أرض المحروسة ، كل لحظة منها علامة فارقة في حياة شعب مصر بدون أدنى مبالغة ، إنه الحب والتسامح من أجل التعاطف الفاعل الذي يسمو بالأمم ويدفعها دوما نحو الأفضل .

تحية إلى صاحب القنديل المشع ، "أبو نهى" الذي أخلص فكان نوذجا للإخلاص ، ووفى حتى صار مثلا يحتذى في الوفاء .

أمير الأدب العربي
(يحيى حقي)

مولده ونشأته :

ولد (أمير الأدب العربي) يحيى حقي في السابع من يناير سنة ألف وتسعمائة وخمس للميلاد بحارة الميداء بحي السيدة زينب ، تعلم بمدرسة أم عباس الابتدائية التي ظل بها خمس سنوات ، وهو في الحادية عشرة من عمره نال الشهادة الابتدائية سنة١٩١٦م، ثم التحق بالمدرسة الإلهامية الثانوية وحصل على الكفاءة سنة ١٩١٨م ، بعدئذ تخرج في كلية الحقوق سنة ١٩٢٥م ليعمل بالنيابة العمومية بمنفلوط في أول يناير ١٩٢٣م ، ولقد أثرت هذه الفترة في أدبه وفي حياته على السواء ، حيث أتيح له التعرف على الوطن وأهله، وأن يخالطهم عن قرب ، وأن يعيش في الحقول ويأكل من زروعها وأيضا كانت سعادته كبيرة عندما يركب الحمار, على المستوى الوصفي في "خليها على الله"وعلى المستوى القصصي أبدع مجموعة"دماء وطين "

وبعد رحلته بالصعيد التي استمرت عامين انتقل إلى السلك الدبلوماسي حيث عمل بالقنصلية المصرية بجدة وتركيا وروما ثم عمل مديرا لمكتب وزير الخارجية ثم عمل بالسفارة المصرية في باريس١٩٤٩م ثم عمل بالسفارة المصرية في أنقرة١٩٥٢م، ثم رأس البعثة المصرية في ليبيا ، وعندما أنشئت مصلحة الفنون في مصر سنة١٩٥٥م كان أول مدير لها ، وبعد ما ألغيت تولى رئاسة تحرير مجلة "المجلة" زمنا ليس بالقصير(منذ أبريل ٦٢حتى ديسمبر ٧٠م)

وفي سنة 1969م حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب ، كما منحته الحكومة الفرنسية وسام الفارس ، ثم حصل على جائزة الملك فيصل العالمية في القصة القصيرة.

فلسفته :

الإرادة بعد الإيمان بالله ـ عز وجل ـ هي الزاد الحقيقي للإنسان في رحلته ، وهي الدرع الحقيقي الذي يحميه من الزلل ويدفعه إلى الرقي ، لكن على المرء أثناء صعوده أو بعد بلوغه مرامه ألا ينسى الذين ساعدوه ، وأيضا عليه أن يساعد الناس الذين يعيشون في الظل من أجل الارتقاء بهم ، وأن يتعاطف مع الجميع من أجل الأمة كلها ، بل العالم بأسره من خلال مد يد العون معنويا وماديا ، ولكي يمتلك المرء إرادته عليه أن يتواجد في المكان المناسب ويختار الوقت المناسب لأداء مهامه على أكمل وجه دون تعال أو مكابرة ، أي أن مظلة التواضع يجب أن تحتوي دربه دائما ، وبدون العلم والتطوير تصاب الإرادة بضمور وذبول وتصبح عبئا على أحلام صاحبها وطموحه ، وأيضا مع العمل والجري وراء المال من أجل المال فإن النتيجة واحدة تنزوي الإرادة ويتوه الحلم في دروب الأنانية البلهاء مما يفسد "التعاطف الفاعل " الذي يدفع الأمة قبل الفرد ، وأيضا فإن الإرادة كائن حي ينمو في البيئة الملائمة ويهلك في هيجاء الإفراط في أنهاك الحواس بعيدا عن الأهداف الكبيرة.

وأيضا فإن الإرادة ليست قرارا وإنما حصاد ، وأهم الأجواء الملائمة لترعرعها وإثمارها هو الرضا والتفاؤل والإقبال على الحياة بحب صادق ونبض سليم ورؤى

واضحة بعيدا عن التشتت الذي يرهق الدرب ويصيبه بالاهتزازات والندب ، وأهم من هذا وذاك هو ترتيب الأولويات ..

ربما كانت هذه هي بعض ملامح ومحاور فلسفة يحيى حقي والتي نفذها طوال مشوار حياته بنسبة كبيرة جدا ، والتي استفاد منها نجيب محفوظ بنسبة أكبر ، فواصل الدرب إلى نهايته ، بينما توقف الأستاذ حقي بعد أربعة أخماسه ، وبالرغم من ذلك فإن يحيى حقي كان يستحق نوبل أخرى غير تلك التي أهداها إليه محفوظ بعد حصوله عليها ، مثلما كان يستحقها زميله في الحقوق "توفيق الحكيم " والأستاذ عباس العقاد "

أسس منهاجه الفني :

١ـ الإبداع في الإيماء لا النقل المباشر .
٢ـ من الخطأ إخضاع الفنان لتحكمات خارجية .
٣ـ الصدق مطلب أصلي لا عذر للفنان في الإعراض عنه . ولا بديل للصدق بالتهاويم والخيالات الباطلة .

آخر أحلامه :

كان يحيى حقي يحلم بمجلة للترجمة وأخرى تكون مجلة للمجلات العربية ، وكانت أهم أحلامه أن ينهض الإنسان العربي ليقف على قدم المساواة مع الإنسان الغربي ،انطلاقا من إيمانه بأن الحضارة الغربية قد قامت لفترة طويلة على أكتاف الحضارة العربية ، وتلك كانت دعوته

الدؤوبة حتى الرمق الأخير ، كانت من أجل العقل العربي الذي عاش من أجله .

إغماضة عين :

فجر الأربعاء ١٢/٩ أغمض أمير الأدب العربي (يحيى حقي)عينيه ورحل عن هذا العالم ، وكان قد قضى أياما في المستشفى بين الغيبوبة والإفاقة ، وفي لحظات صحوه كان يترنم بشعر المتنبي وأبي فراس ، وجاءت وصيته الأخيرة بأن يدفن فور موته وألا تقام جنازة أو ينصب سرادق ، وكان له ما أراد .

رحل يحيى حقي بعد أن نثر بذورا مليئة بالحيوية تنشر الحب والخير والجمال في ربوع العروبة لتظل ذكراه العطرة تعطر من عرفوه إنسانا ومن عرفوه أديبا ومن سوف يعرفونه من الأجيال القادمة من خلال كتاباته وسيرته ... لقد ترك ابنته الوحيدة "نهى يحيى حقي " التي نعته قائلة:

" تركتني وحيدة ياأبي أطل على نماذج كنت تحجبها عني ، تركتني ألاطم أمواجا وأكافح نماذج اعتقدت أنت أنها الإخلاص ، فإذا بهم بعد رحيلك برغم ما قمت به لهم من دروس لمعاني الإخلاص والوفاء يكونون غير ما تمنيت وأوصيتهم ، سامحهم الله ، وهكذا هي الحياة ياوالدي ، عزائي أني أملك القلم والمشاعر والإحساس لعلني أجد الراحة والسلوى والطمأنينة "

وبالرغم من مرارتها إلا أن مصر كلها تعرف قدرها حكومة وشعبا ، إنها ابنة الأمير ، أمير الأدب العربي

مواقف ... و.. لقطات :

في المواقف واللقطات التالية مايضع يد القارئ الكريم على مفاتيح شخصية يحيى حقي من أقرب طريق ، دونما فلسفة أو استطراد قد يصرفان ذهن القراء عن المضمون الحقيقي لهذا الفصل .. ولكننا آثرنا هنا أن نضع هذه المواقف وتلك اللقطات ليشكل القارئ منهما الصورة الحقيقية لهذا الرجل العظيم ...

* كان من أعضاء المؤتمر العام للاتحاد القومي ضمن ٣٨١٤ عضوا .
*كان يحب السينما والأوبرا .
* في سنواته الأخيرة كان يعيش في شارع الغزالي بمصر الجديدة .
*بالرغم من كراهية يحيى حقي لكنيته "صاحب القنديل " إلا أنه كان يعتز كثيرا بروايته "قنديل أم هاشم " معللا ذلك بأنها انطلقت كالرصاصة من فكره وإبداعه إلى قلب المتلقي .
* كان أديب نوبل العالمي نجيب محفوظ ضمن من يحضرون محاضرته في بيته بالزمالك حيث كان يحاضر الأدباء عن الأسلوب ودقته .
* أهدى يحيى حقي مكتبته إلى جامعة المنيا .
* الاستماع إلى القرآن الكريم هو الأقرب إلى قلبه ووجدانه

*في سنة ١٩٣٩م التقى بالأستاذ محمود محمد شاكر ، وقرأ معه أمهات الكتب العربية في التراثين الشعري والنثري

* كان لايرحب بتناول الطعام بمفرده .

* من مواقفه أنه عندما عمل في مصلحة الفنون كمدير لها طلب معونة نجيب محفوظ وعلي أحمد باكثير فيما يسمى "المكتب الفني" للمساهمة في رسم فلسفة المصلحة ، وكان يطلب من نجيب محفوظ عدم الالتزام بالعمل الروتيني للوظيفة ، ولكن الأديب العالمي كان يأتي للمصلحة في الثامنة صباحا ، ولا ينصرف قبل الثانية والنصف مساء ، وكان لا يدخل مكتب يحيى حقي قبل أن يدق الباب ويضم أزرار سترته.

وظل يحيى حقي مفتخرا طوال حياته بأن " اللص والكلاب " رائعة نجيب محفوظ خرجت للنور أثناء وظيفته في مصلحة الفنون ، وكذلك كان يفتخر بأن "على أحمد باكثير " الذي كان يشرف على المسرح الشعبي قد وضع نص "البيرق النبوي" الذي حرك الشعب أثناء العدوان الثلاثي ١٩٥٦م .

أما بالنسبة لتوفيق الحكيم فكان زميلا له في مدرسة الحقوق ، وكان يحيى حقي ينكر على توفيق الحكيم الدعاية لنفسه من خلال ادعاء البخل تارة ، وادعاء كراهية المرأة تارة أخرى .

موقفه من الكومبارس و ... الظلم .

العباقرة قد يأتون بالمعجزات ، ولكن الحياة لا يمكن أن تستمر بغير الناس البسطاء (الكومبارس) ولذلك وجه يحيى حقي جل فكره وحسه نحوهم من أجل حماية حقوقهم ومساعدتهم على التقدم في الحياة .

لقد عانى يحيى حقّي في طفولته ، ولولا المجانية في التعليم التي استفاد منها ربما تغير مسار حياته ، ولذلك وقف في صف هؤلاء البسطاء ، وأيضا كان معلمه في المدرسة الابتدائية هو الذي علّم في مرحلة سابقة الزعيم مصطفى كامل ، فميز مبكرا بين العدل والظلم ، وأدرك قيمة أمته العربية التي ترعرع بين جنباتها وأحضانها ونسي أصوله التركية التي ذابت تماما في مياه النيل ، كان يزور مع والده بيت الأمة حيث يعيش الزعيم سعد زغلول فأدرك ماهية الاحتلال ، ومع نموه الفكري أدرك أن نجاة مصر بمثقفيها وعمالها يكمن في البحث المنهجي عن الحقيقة ، فوهب عمره للثقافة والآداب ، وأدرك أن الثقافة والآداب بدون لغة راقية ومتجددة حرث بليد في الماء ، فركز جل فكره على اللغة العربية وسلامتها ، لم تفتنه الحضارة الأوربية إلا في حبها للعلم بينا كان يلوم عليها التعصب العرقي ..

عاش يحيى حقي مدافعا عن مبادئ الحق والخير والجمال معتزا بعروبته .

* المرأة في حياته :
تزوج يحيى حقي سنة ١٩٤٢م من كريمة (عبد اللطيف سعودي) المحامي وعضو مجلس النواب بالفيوم ، وتوفيت زوجته في السنة الثانية من الزواج بعد أن أنجبت له ابنته الوحيدة (نهى) وبعد اثني عشر علما أي سنة ١٩٥٤م تزوج من الفنانة الفرنسية جان ميري .. وبعدها ترك السلك الدبلوماسي ، ولقد وقفت زوجته الفرنسية إلى جواره وساندته في مسيرته .

* لقطات فاعلة في حياة يحيى حقي :

(١) في العاشرة من عمره قرأ "عذراء دنشواي" لعمه محمود طاهر حقي ، ثم تأثر بأدب جبران والمنفلوطي وديكنز ولويس ستيفنسون ثم اتجه للأدب الروسي وفي مقدمة كتابه "تولستوي وديستويفسكي"

(٢) سنة ١٩٢١ التقى بأمير الشعراء أحمد شوقي وعرض عليه مسرحية "أميرة الأندلس" قبل أن تنشر .

(٣) سنة ١٩٢٩م وحتى سنة ١٩٣٠م عمل في القنصلية المصرية في جدة فاطلع على الجبرتي وقرأ كل أفكاره .

(٤) من سنة ١٩٣٠م إلى سنة ١٩٣٤م عمل بالقنصلية المصرية بتركيا وقابل شاعرها عبد الحق حامد ، وكتب عنه وعن غيره من أدباء تركيا وتعلم اللغة التركية .

(٥) من سنة ١٩٣٤م حتى سنة ١٩٣٩م عمل في روما وتعلم اللغة الإيطالية .

ويعتبر يحيى حقي الخمس سنوات التي قضاها في إيطاليا بداية اتصاله الحقيقي بالحضارة الغربية وتفتحه على كل الفنون من موسيقى وتصوير وعمارة ومسرح .

(٦) في سنة ١٩٤٥م نشر (قنديل أم هاشم) والتي كتبها سنة ١٩٣٩م في شقة مفروشة بعابدين .

(٧) بالرغم من درامية "قنديل أم هاشم " وقعت في مستوى سارة للعقاد والأيام لطه حسين وعصفور من الشرق لتوفيق الحكيم ، إلا أنه كان يكره كنيته بـ (صاحب القنديل)

(٨) في سنة ١٩٤٥م صدرت قصته الشهيرة "البوسطجي" ضمن مجموعة "دماء وطين" وكتبها في اسطانبول مستخدما الـ "فلاش باك" بأنْ بدأ القصة من نهايتها .

(٩) في سنة ١٩٥٥ م أنشأ (مصلحة الفنون) وتولى رئاستها حتى سنة ١٩٥٨م حيث أسس مسرح العرائس وأوركسترا القاهرة السيمفوني وكورال الأوبرا وإدارة المسرح الشعبي بقيادة أحمد علي باكثير والتي تعد نواة الهيئة العامة لقصور الثقافة ، وبالسيرة المسرحية (ياليل ياعين) غرس بذور الاهتمام بالفنون الشعبية في حياتنا الثقافية ، وقد عاونه في عمله الأديب العالمي نجيب محفوظ .

(١٠) عمل رئيسا لتحرير مجلة (المجلة) من أبريل ١٩٦٢م إلى ديسمبر ١٩٧٠م ، والتي تم إنهاء عملها ترشيدا للنفقات ، وبعدها بقليل أعلن اعتزاله للحياة الثقافية بعد أن قدم للحياة الأدبية عشرات الأدباء والشعراء ، والذين

ساندهم فكريا وحياتيا ولم يترك أيا منهم في منتصف الطريق .

(١١) ١٩٨٣م حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة المنيا .

(١٢) بلغت أعماله ثمانية وعشرين كتابا .

(١٣) أصر على أن تنشر الهيئة المصرية العامة للكتاب مؤلفاته مفضلا إياها على جهات أخرى اعتزازا بعروبته ووفاء لمصريته .

(١٤) الأعمال التي قدمها للسينما هي : (قنديل أم هاشم ، والبوسطجي ، وإفلاس خاطبة ، وامرأة ورجل) وتم تقديم قنديل أم هاشم كمسرحية بعد معالجة من الأستاذة أمينة الصاوي .

(١٥) دراسته للقانون نمَّتْ فيه روح البحث والتقصي .

(١٦) كان لويس عوض يلقبه بالأديب الشحيح .

(١٧) بالرغم من العامية التي تشوب بعض ما أبدعه إلا أنه كان يدرك تماما حتمية اللفظ ، فعاش فريدا ، فهو ربما الكاتب الوحيد الذي تقرأ له وكأنك تسمعه .. إنه الصدق.

(١٨) مثلما كانت لفظة يا مولانا على لسان العقاد ، كانت لفظة أفندم "التركية" على لسان يحيى حقي .

(١٩) علمته والدته مع إخوته الخمسة كيف يتحدث وكيف يجلس .

(٢٠) تقول ابنته نهى حقي : ولقد كان يحيى حقي في نهاية دقات قلبه وفي ختام خفقاته ، وعندما أسدلت حكمة النهاية لحياته ولقي ربه كان مبتسما .

(٢٢) كان أستاذه في مدرسة أم عباس في المرحلة الابتدائية الشيخ عبد المنعم أستاذ الزعيم مصطفى كامل .
(٢٣) منذ نعومة أظفاره والحقيقة مبتغاه وكانت بالنسبة له مثل الكنز المجهول أراد أن يكشف عن محتوياته .
(٢٤) أهم أصدقائه شقيقه إبراهيم ، دليله إلى المعرفة وكان يتمنى أن يكون طبيبا ولكنه التحق بالقسم الأدبي بالسعيدية الثانوية خوفا من الرسوب في القسم العلمي ، وكان ترتيبه عند الحصول على البكالوريا الخمسين على القطر المصري مما يتيح له الالتحاق بكلية الحقوق (كلية الوزراء)

مواقف :

* كان مشتركا في نادي هليوبوليس ، وكانت قيمة الاشتراك خمسة عشر ألف جنيها .
* كان يزور الآخرين وخاصة المرضى منهم تسبقه باقة من الورود .
* كان يحيى حقي يأخذ ابنته (نهى)إلى صالون العقاد في مصر الجديدة وهي في الثامنة لكي تكتسب الثقافة والخبرة الحياتية ، وعندما نزلا من عند العقاد قالت ابنته له : أريد أن أكون كاتبة .
* "إن والدك يحيى حقي عندما يفتح درج مكتبه يستأذن ويقول له : ممكن أفتحك ؟!"

قال لها ذلك مذكرا إياها بالقصة الوهمية التي ألفتها عن العذاب الذي تركها فيه أبوها والتي عرضتها عليه ، وقد

ذكرت فيها زواج والدها من زوجة تعذبها ... " إحسان عبد القدوس"

*من أحب المبدعين إلى قلبه صلاح جاهين لصدقه وأيضا محمد روميش وشاعر طنطا عبد الله السيد شرف

* كان يحب الشاعر عبد الله السيد شرف بالرغم من أنهما لم يلتقيا ، نظرا للرسائل التي كان يرسلها إليه الشاعر وكانت تفيض حبا ووفاء .

* عاش محبا للطير والحيوان والموسيقى تشاركه في كل ذلك زوجنه جان ، وكان يقدر القط أكثر من الكلب .

أنا جاسوس مجمع اللغة العربية

يمتاز أدب يحيى حقي بصفة عامة وقصصه بصفة خاصة بالصفة الفنية المحكمة والتي لا تبغي سوى الكمال ، فكان يبحث عن الكلمة التي تحمل المعنى الذي يقصده دون ملل أو إعياء راغبا في تعبير ذي حس لغوي مرهف .

وتقديرا منه لقيمة اللفظة في العمل الفني كان يرسل إلى المجمع اللغوي من أجل إدخال ألفاظ إلى اللغة العربية الثرية بالفعل من أجل إثراء أكيد ، وكان يردد دائما ـ ولهذا السبب ـ قوله : " أنا جاسوس المجمع اللغوي "

يحيى حقي والفكاهة

عاش يحيى بروح طلقة ساخرة محبا للفكاهة ، كارها للإسفاف ، ربما سخر من ذاته ومن مواقفه الشخصية في

الحياة ، ولكن برغم تقديره للظرف لم يكن يقتله سوى الاستظراف .
كان يداعب أبناء البلد قائلا : " إنت اللي خواجة " عندما يظنون أنه أحد الخواجات المقيمين في مصر .
وأيضا يحكي في أسى محموم عن أحد معارفه الذي قابله في الطريق سائلا إياه عن وجهته ، وعندما أجاب يحيى حقي :
- أنا ذاهب إلى البريد .
رد ثقيل الدم : وأنا بريد أذهب معاك .
كاد يحيى حقي أن يختنق .

لماذا صح النوم ؟!

على المستوى الأكاديمي أو الشعبي نجد يحيى حقي هو (صاحب القنديل) نسبة إلى روايته الصغيرة : قنديل أم هاشم ، والتي تم إخراجها وتقديمها سينمائيا ، ولكن صاحب القنديل له رأي آخر ، فنراه يضع :صح النوم ، روايته الطويلة في المقدمة معللا ذلك بأن في (صح النوم) تطبيق صارم للمبدأ الذي ينادي به في ضرورة التزام الدقة والعمق في أسلوب الكتابة ؛ فليس فيها لفظ واحد لم يكن له حس ووزن ، وفيها صفحات كاملة لم يتكرر فيها لفظ واحد ، والمسألة ليست صدفة بقدر ماهي قراءة في المعاني والأحاسيس التي تتطلب ألفاظا لا تتكرر - على حد قوله - هكذا فضل يحيى حقي (صح النوم) نظرا للأسلوب العلمي

الذي نادى به مطبقا لنظريته في أهمية اللفظة في التعبير ... إنها مدرسة العمق والبساطة .

يحيى حقي مترجما

ربما نبوغ يحيى حقي في عالم القصة هضم الكثير من أدواره الأخرى في الفكر العربي والتي ربما لا تقل قيمة عن فنه القصصي ، ومن هذه الأدوار الخامدة دوره في الترجمة حيث ترجم عن الإنجليزية والفرنسية الكثير من الأعمال الأدبية ، ومنها مسرحية : دكتور كنوك ، للكاتب الفرنسي جول رومان ، ومسرحية : العصفور الأزرق ، للكاتب البلجيكي : موريس مترلنك ، كما ترجم قصص البلطة ، للكاتب الروماني ميخائيل سادو فياتو ، ولا عب الشطرنج لستيفان رهايج ، و" طونيو كروجر : لتوماس مان ، والأب الضليل ، لأديث سوندرز ، وكتاب : القاهرة ، لأزموند ستيوارت ، ومن صفحات المجلة الكثير من المقالات لكتاب غزبيين ، فمثلما طغى شعر شاعر النيل على رائعته " البؤساء " التي ترجمها من الفرنسية إلى العربية طغى مجد القصة على الروائع المترجمة ليحيى حقي والتي لا تقل قيمة فنية .

من أقوال يحيى حقي

*اهتمامي باللغة العربية هو الذي يجعلني أحب جدا أن أشتغل بالترجمة لأنها هي التي تجبرني على تطويع اللغة العربية للاستجابة لمطالب العصر الحديث .

* وكنت أسهم بالترجمة فيها (يقصد مجلة المختار) إلى جوار أعلام كبار مثل فؤاد صروف والمازني وعلي حسني ، وكان محمود شاكر يراجع كل الترجمات .
* الفن لغة تنسيك صرامتها أنها ذات شيفرة سحرية ترمز - كما في الأسطورة - إلى الباطن من تحت الظاهر ، وتوجد الكائنات تحت ستار من الشتات ... هكذا لغة الفن
* لايمكن أن تزدهر أية حركة أدبية إلا إذا وصلت اللغة التي هي وسيلة الاتصال والمادة الأولى للكاتب إلى مستوى ممتاز .
* أنا لم أكتب الشعر قط ، ولا الزجل ، وإنما اتجهت فورا إلى القصة القصيرة ، لأنها أقرب قوالب الأدب إلى الشعر ، وأنا لي نزعة شديدة لحب الشعر ، وأشترط أن تكون القصة القصيرة فيها نغمة شعرية نحس بها إحساسا خفيفا دون أن تكون طاغية على القصة ، وسر عبقرية اللغة هو الشعر ، وإذن يجتمع هذان السببان.
* العقلية الغربية عقلية متحركة .
* في تقديري أن قبضة العمل الفني علينا تتزايد بمقدار تزايد الفنان في التعبير في عمله الفني عن معناه المقصود وبخاصة في أن يجعلنا ندرك هذا المعنى ونحس به .
* الفن فوق ووراء جميع الآراء والنظريات .
* الكاتب لا بد أن يكون له موقف يظهر جليا من خلال أبطاله .
* الفن لايعرف أنصاف الحلول ، الفن يعني بلوغ الغايات ، يعني الحب بعنف ، والكراهية بعنف ، والخير بأقصى ما

تستطيع والشر بنهاياته ، الفن لايعرف الفتور ، الفن هو الثراء .

* الأديب لابد أن يكون إنسانا فاحش الثراء ، وثراؤه هو ثراء الإحساس وثراء اللغة .
* وظيفة الأديب أن يثري اللغة لا أن يستعملها فقط .
* الأدب الذي لا يخدم الجمال ولا يخدم خير الإنسان وسعادته أنا لا أعتبره أدبا .
*الأديب محتاج لكل طاقته وتركيزه لكي تولد على يديه كلمة أو معنى أو صورة .
* لاعشق للقصة والشعر إلا بعشق أهم وأهم هو عشق اللغة
* إن كان همي الأول ونصيبي الوحيد وقلقي الدائم هو التعبير بأسلوب حتمي ومحدد أسميه الأسلوب العلمي في الأدب ، أعتقد أنه الأسلوب الواجب الآن ومستقبلا .
* لا قياس عندي لعمري إلا بهذه اللحظات القليلة النادرة التي نبض فيها عرق في روحي معتزا بجذل قدسي عند التقائي بالفن متلقيا ومعبرا ، قمة هذا الجذل عند التقائي بالشعر والموسيقى على قدم المساواة ثم النحت ثم التصوير ثم العمارة .. لست أدري أين أضع بينها لقائي برشاقة الإنسان في فن الباليه .." من كتاب كناسة الدكان"
* إنني ممن يدخلون معبد الفن من أشد أبوابه ضيقا وعسرا .... ولهذا كنت من المقلين ، أسمعهم يعيبون هذا علي ، كأنهم يطلبون مني أن أكون من المدلسين ، يكفيني الصدق ، ومع هذا فإن عمري القصير في الفن ،

إنـه مجمـوع لحظـات عـابرة ، فقد جـاوز نصـف قـرن ، وأحمد الله على ذلك ، لأن هذا الطـول أتـاح لـي أن أشـهد في نفسي تحولا عجيبا ، ولولاه لما شهدته . " من كتـاب : كناسة الدكان "

* ولقد وجدت في الأدب الروسي كل شخص مشغولا بقضية كبيرة هي خلاص الروح ، ويخيل إلي أن الأدب الصادق هو الأدب الذي وإن سجل وعبر وحلل وكتب بأسلوب واقعي ، إلا أنه لا يكتفي بذلك ، بل يرتفع إلى حد التبشير ، وهذا ما وجدته في الأدب الروسي . وسحرني .
* العازف البصير يسمعك ألحانه بريئة من ضجة هذا الخبط
* الفنان مثل الظاهرة الكونية ، لابد من الاحتفاء بها .
* نهاية الأديب أو الفنان الذي يعتمد على المخدر لكي ينتج فنا تكون سريعة وقريبة جدا ، ولن يعمر طويلا .
* ميلاد أديب هو ظاهرة كونية لابد أن تحتفل بها الدنيا كلها .فليس في كل يوم يولد فنان .
* البخل قمة الأنانية ، إنه يبلد الحس ويشل الغرائز على ما هي عليه من تحكم وسلطان ، ومن نفع أيضا .
* لا ينزل الطعام إلى جوفي إذا أكلت وحدي .
* لا إبداع إلا إذا تلقى الفنان كل ما حوله بدهشة أبينا الأول .
* أنا خادم للغة العربية .
* القصة فرع من فروع الأدب ، فإذا لم يشعر القارئ أن للمؤلف أسلوبا خاصا به بحيث يتجنب العبارات الشائعة والقوالب والكليشيهات هبطت القصة عن المستوى الأدبي . ومن حديثه لمحمد عبد الحليم عبد الله ٦٤/٤/١

* أنا أضيق ضيقا شديدا كلما قال لي إنسان (قنديل أم هاشم) كأنني لم أكتب سواها .. (من الحديث المشار إليه سابقا)
* أنا أحس إحساس الناقد وأنا أؤلف ، بل لعل أحدا لم يقس عليَّ كما أقسو أنا على نفسي .. أفندم ؟! إنني أعاني صهدا في سبيل التجويد ، ولعل ذلك يفسر لك قسوتي أحيانا على من أنقدهم .. (السابق)
* الابتكار الذي هو التأليف هزة روحية .. اضطراب .. قلق (السابق)
* من المفروض أن يكون التعبير انعكاسا لمزاج الكاتب وثقافته ، ولا بد من اختلاف المزاج والثقافة (السابق)
* الأدب ليس متعة ، بل رسالة ، وأحب أن يكون الأدب وليد صراع مثل أدب أبسن وتولستوي وديستويفسكي . (السابق)
* القصة الجيدة هي التي بعد قراءتها تشعر أنك أصبحت إنسانا غير الذي كان . (السابق)

دور الأسرة والمدرسة الحديثة في تكوينه :

"والدتي وأبي وكذلك أخي الدكتور إبراهيم الذي يعرفه جميع باعة الكتب في مصر ، جديدها وقديمها ، لقد كون لنفسه مكتبة عربية وانجليزية كانت أول معين استقيت منه ، وقد شارك أخي إبراهيم في تحرير جريدة (السفور) أما أخي إسماعيل فقد ألف مسرحية لم تمثل ، بالإضافة إلى جهود عمي محمود طاهر حقي في القصة والمسرحية والصحافة " كناسة الدكان صـ ٢٧

ولقد لعب أخوه إبراهيم دورا في اتصاله بالمدرسة الحديثة عندما كان يعمل بمنفلوط ، وهذه المدرسة الحديثة كانت بعد ثورة ١٩١٩ لإرساء أدب جديد ذي شخصية متبلورة مستقلة لا تتأثر بالقديم العربي أو الحديث الأوربي ، فأصدروا جريدة الفجر من أجل النهوض بالقصة القصيرة والرواية الطويلة برئاسة أحمد خيري سعيد .

كما تأثر بقراءات والدته لصفحات من البخاري والغزالي ومقامات الحريري فأدرك قيمة اللفظة مبكرا ، وكذلك كان لوالده المتأثر بالمتنبي دوره الفاعل في تكوينه الأدبي .

لقد تعلق يحيى حقي بالأدب الروسي بعد اتصاله بالمدرسة الحديثة في مرحلتها الثانية ١٩٢٦م - ١٩٢٧م حيث كانت قبل ذلك تتجه للتأثر بالأدب الانجليزي والفرنسي ، وعن طريق الأدب الروسي توجه وجهة واقعية بعيدا عن شطحات الخيال ، وكان سبب حبه للأدب الروسي أنه يعالج المشكلات الروحية بعيدا عن القضايا الفكرية والفلسفية .

مع حقي في "كناسة الدكان "

تقول الأديبة نجلاء علام في منتديات القصة العربية على شبكة المعلومات ما نصه :

كناسة الدكان .. وقع الحياة

كيف يمكن للكاتب، وهو مطمئن النفس أن يستخدم الكلمات العارية الخشنة ليصف بها لغة يحيى حقى ؟! يوشك أن يكون عدواناً على كلماته التى تشف بللوراً صافياً، تخلص من كل الشوائب وانتظم فى بناء موسيقى، ما إن تقرأه حتى يتحرك فى داخلك نغم متصل من جملة إلى جملة تمتزج فيه البسمة بالأمل والمتعة بالشجن. فأنت هنا مع أديب، على قدر ما فى كتابته من تسامح وإنسانية وقدرة على الفكاهة لا تبارى، يفتح عينيك على هموم كنت غافلاً عنها ويفجر ألغاماً لم تكن تتوقعها، ثم سرعان ما يمسح الهم عن نفسك بابتسامة حانية وأنت تبتسم معه بالفعل، ولكن ذلك الشجن الخالى من القسوة ومن المرارة، سيبقى معك دائماً مثل لحن جميل، يتردد صداه فى نفسك ويدفعك دفعاً إلى أن تعيد قراءة يحيى حقى كى تسترجع النغم مرة بعد أخرى.

لم أجد خيراً من كلمات بهاء طاهر لتتحدث عن يحيى حقى، كلمات مثل كلمات يحيى حقى تشف وتعلو ثم ترسخ داخل القلب، هكذا تحدث بهاء طاهر فى كتابه «أبناء رفاعة ،

الثقافة والحرية» وهكذا لم يستطع كاتب حين يكتب عن يحيى حقى أن يتخلص من صفات يحيى حقى ذاتها، فيجد نفسه أصبح ودوداً طيباً، جريئاً وباسماً.

إذا كنت قد قرأت مقولة جوته، الفقرة التى يقول فيها:

«على الكاتب أن ينظر إلى الحياة نظرتين وينظر إلى الكتاب نظرة واحدة»، فلا بد ستتفق معى أن يحيى حقى أخلص لهذه المقولة كثيراً، بل إنه اهتم بكيفية النظرة التى ينظرها إلى الحياة، فنجده كعدسة الزووم يقرب تلك الدقائق الصغيرة، ويضعها أمامك فى شىء من الحنكة الموارة، ويتضح هذا فى كل كتبه، ونحن هنا بإزاء الحديث عن السيرة الذاتية، على عكس معظم الكتاب العرب الذين كتبوا سيرتهم الذاتية، فقدموا صوراً من حيواتهم الاجتماعية والعائلية والعملية، يكتب يحيى حقى «كناسة الدكان» فيقدم فيها جميع وجوه الحياة، يعتنى يحيى حقى بتقديم أفكاره نحو الكتابة القصصية والفن بعامة يقارن بين مناهج الحياة فى البلاد المختلفة... يتحدث عن حوش المدرسة، ومقابلة الموتى، يكتب قصصاً قصيرة بالفعل عن كل ما يحدث حوله لا عن نفسه، إذ يذكر فيما لا يزيد على أربع وعشرين صفحة فى كتاب بلغ مائتين

وأربعين صفحة نسبه وعائلته ونشأته، يلجأ يحيى حقى إلى مقالات ينقحها ويضيف إليها، هل ترى رجلا جمع نفسه فى نثارات مختلفة يسميها : مقالات، وأسميها: قصصا قصيرة، وكأنها الحياة فى متوالية قصصية.

لماذا يختار يحيى حقى عنوان «كناسة الدكان» لسيرته الذاتية ؟! أو بمعنى آخر : هل يدل عنوان : كناسة الدكان على أسلوب يحيى حقى ؟!

ولكى نجيب على هذا السؤال، لا بد أولا أن نعرف : ما المقصود بكناسة الدكان ؟!

إنه يعنى خلاصة التجربة، يعنى ما يتخلف عن يوم عمل طويل داخل دكان، لا بد أن هذه البقايا تحمل سمات بضاعة هذا الدكان، فإذا كان دكان خائط مثلاً فلا بد ستتبقى قصاصات قماش وخيوط وغيرها.

أما هنا .. فهو دكان يحيى حقى ! ينظر يحيى حقى إلى رحلة العمر يقطرها، يضعها أمامك.. إذا هو عنوان مكثف، دال، بسيط، ساخر، ومراوغ أيضا، يقول يحيى حقى لفظة ويقصد بها شيئاً آخر، يقول الدكان / المكان؛ ليعنى بها العمر / الزمان فهو يجمع فى لفظة واحدة الرديفين : الزمان

والمكـان، هـو عنـوان أيضـاً يلبس فيـه يحيـى حقـى الفصـحى ثوب العامية.

إذا أنـت قبـل أن تجـرى عينيك علـى سـطور الكتـاب عرفـت بعض سـمات أسـلوب يحيـى حقـى، والذى يتميـز بالبسـاطة، والســـــخرية، التكثيـــــف، المراوغـــــة، الشـــــعبية.

ألا ترى أن يحىى حقى كان محقاً عندما قال داخل «كناسة الدكان» «ولا أتحول عن اعتقادى بأن كل تطور أدبى هو فى المقام الأول تطور أسلوب».

قلـــــــــم مـــــــــداده طـــــــــين الأرض :

يقول يحيى حقى :

«لقد عالجت معظم فنون القول من قصة قصيرة ورواية ونقد ودراسة أدبية وسيرة ذاتية ومقال أدبى وترجمت عدداً من القصص والمسرحيات، ولكن تظل القصة القصيرة هى هواى الأول، لأن الحديث فيها عندى يقوم على تجارب ذاتية أو مشاهدة مباشرة وعنصر الخيال فيها قليل جداً، دوره يكاد يكون مقصوداً على ربط الأحداث ولا يتسرب إلى اللب أبداً».

هل ترى يقول يحيى حقى عالجت معظم فنون القول، فالقول والشفاهية والحوار أشياء أساسية فى أسلوب يحيى حقى. يقسم صلاح فضل فى كتابه «أساليب السرد فى الرواية العربية» إلى : أسلوب غنائى وأسلوب درامى وأسلوب سينمائى، ويضع صلاح فضل «كناسة الدكان» كإحدى الروايات التى تتميز بالأسلوب الغنائى الذى يغلب عليه الاهتمام بالمادة المقدمة ثم يعقبها فى الأهمية المنظور والإيقاع، كما نجد فى سمات الرواية الغنائية عند صلاح فضل أنها تتطلب نوعاً خاصاً من ثنائية البطولة على الخط الإيجابى نفسه أى تتطلب بطلين متجاورين يمضيان فى الاتجاه ذاته.

فإذا قلنا إن البطل الأول هو يحيى حقى نفسه فمن يكون البطل الثانى ؟!

يجيب يحيى حقى نفسه حين يتوجه بالحديث على مدار سيرته الذاتيه كلها إليك أيها القارئ، إنه يستطيع بسهولة أن يأخذ كفك فى كفه كصديق قديم ويسير معك مشواراً طويلاً هو العمر، يحكى ويحلل ويفسر ويتحاور معك.

يقول يحيى حقى إن القصة القصيرة عنده قائمة على تجارب ذاتية أو مشاهدة مباشرة، إذ يغمس يحيى حقى قلمه فى مداد مكون من طين الأرض فهو يزاوج بين السرد القصصى ومراحل حياته.

ماذا وجدنا حتى الآن فى «كناسة دكان يحيى حقى»؟!

وجدنا أسلوباً له مميزات خاصة، ومادة مولودة من رحم الحياة، وسرداً قصصياً ملتحماً بسيرته، وتبقى اللغة أهم ما يميز «كناسة دكانه».

يقول يحيى حقى :

«قدمت ما رضيت عنه من أوراقى إلى ناد عجيب، إنه وقف على من لمسهم الفن بعصاه السحرية، أياً كان عصره أو لغته أو دينه أو جنسه أو لونه، والرجال والنساء سواسية هم داخله أحياء بينهم تواصل الإخوة وتراسل لا ينقطع، سمح لى أن أنضم إليه عضواً منتسباً !.

عرفت أننى - حتى قبل انضمامى إليه - كنت أكتب لهم، هم الذين يطلون على من وراء كتفى وأنا أكتب، أصبح رضاؤهم هو مطلبى الوحيد، لا تخلو ورقة لى من أثر خاف

لبصماتهم أو من إشارة مستترة إلى أعمالهم، فلغة أهل هذا النادى صريحة ومشفرة فى آن واحد، ولا تجد حريتها إلا فى استبعادهم لها، وأول مادة فى قانون هذا النادى هو توقير الكلمة سواء أكانت من حروف أو أنغام أو حجر أو لون».

للكلمة عند يحيى حقى وجوه متعددة فهى حرف ونغمة وحجر ولون، إنها مفهوم كامل يلتزم الدقة والعمق، فاللغة عنده تبعد عن الزخارف اللفظية، لغة محملة برائحة تراب الشارع المصرى تحمل داخلها ظلالاً من المعانى والإيحاءات.

الباب الضيق :

يقول يحيى حقى فى كناسة دكانه :

«وقد عرفت مقامى منذ وعيت لهذا العرق الذى ينبض فى روحى لست من الملهمين، ولا لى صاحب فى وادى عبقر.

الإلهام نور ساطع كاشف لجميع آفاق الروح والعالم، يهبط على من يختاره دون سبب ظاهر، فيتلقاه بغير سعى منه إليه، ما أبعد الفرق بين هذا النور وبين أزيز الشرارة الخاطفة التى أحس بها وهى تتقد أحياناً فجأة ثم تنطفئ لتوها، إنها لا تنير لى إلا درباً ضيقاً وسط غابة كثيفة، يؤدى

إلى كنز صغير لا يفرح به إلا الأثرياء، تنطفئ هذه الشرارة وتتركنى لكى أشقى غاية الشقاء، حتى يتفصد العرق من جبينى من أجل أن أصل إلى هذا الكنز الذى رأيته - بل قل حدثته - من بعيد كأننى أنحت فى صخر، وحتم على أن أزيل عن العمل كل آثار العرق ليظن الناس أنها ولادة سهلة.

إننى ممن يدخلون معبد الفن من أشد أبوابه ضيقاً وعسراً، وليست هذه الشرارة بزوارة، بهذا كنت من المقلين ، أسمعهم يعيبون هذا على ، كأنهم يطلبون إلى أن أكون من المدلسين، يكفينى الصدق»

لعلك تلاحظ ذلك الباب الضيق الذى ينفذ منه يحيى حقى وذلك الوصف الصادق لحالة الإبداع عنده، وهو بهذا يعتبر الإبداع عصارة تجربته ويضعه فى الصدارة ضمن كناسة دكانه.

والآن بعد هذه السياحة داخل دكان طويل مفتوح، علينا أن نتساءل : هل اختلفت سيرة يحيى حقى عن السير الأخرى ؟ لقد كان الاهتمام الأكبر لدى الكاتب الذى يكتب سيرته الذاتية، أن يتحدث عن نفسه وعن أسرته وحياته وربما يتحدث عن الكتابة، نجد أن يحيى حقى يخرج عن هذا

الإطار ويناقش داخل سيرته كيف يكتب، ولماذا ؟! لا يقول أبداً : فعلت .. وإنما يقول : حاولنا أن نفعل، روح الجماعة مهيمنة على سيرته، يقول :

«إنما الدروس من حوش المدرسة لا من الفصل».

ولهذا يتجه إلى حوش الحياة، ويصوب كاميراه شديدة الالتقاط على هذا الحوش، لاحظ تلك المنمنمات الأخيرة داخل «كناسة الدكان» مثل : «وجهاً لوجه»، «الزهرة والأصيص»، وغيرها... حيث نجد فى تلك المنمنمات كل خبرات يحيى حقى مصاغة بطريقة جزلة ممتعة شديدة الاهتمام بالتفاصيل، وأيضاً مصورة كأنها فيلم تسجيلى، وقبل كل ذلك تقطر إنسانية حتى وهى تصف الموت.

وأحب أن أقدم هنا مفهوم يحيى حقى عن السيرة الذاتية، وقد ذكرها فى مذكرات فنان غشيم فى الكار، إذ يقول :

«ولا يهم الجيل الحاضر أن يعرف عن الجيل السابق كيف كان يأكل، وماذا كان يلبس، بل لا يهمه أن يعرف ماذا كان يقرأ، أو حتى ماذا ألف وكتب، بقدر ما يهمه أن يعرف النمو الروحى لهذا الجيل السابق، أن ينكشف له الستار ليرى من

ورائه صراع النفوس مع المبادئ والمعتقدات، التحول من الشك إلى اليقين أو من اليقين إلى الشك».

إن يحيى حقى يثنى على الإمام الغزالى، لأنه كتب:

«المنقذ من الضلال» كما يثنى على كازانتزاكس الذى روى قصة تخبط روحه فى البحث عن عقيدة فى :

«رسالة إلى الچريكو»، ولهذا يحدثنا يحيى حقى عن تلك الذبذبات التى أصابت روحه عندما سافر إلى روما ثم إلى باريس، وكيف استطاع الحفاظ على مصريته وعروبته.

هل أستعير فى النهاية كلماته لأصف بها سيرته الذاتية وكناسة دكانه، إنها كسوط صاحب الجواد الأصيل؛ له وقع وليس له لسع، نعم إنه ذلك الوقع الذى يبقى فى النفس ويحفر داخلها.. إنه وقع الحياة "

قالوا عن يحيى حقي

* إذا كنت لم تره فهو كاتب دقيق ، به من صفات "الشرارة" أشياء كثيرة ، بوجه أحمر ، وشعر في لون الرماد الصافي ، ودقة واسعة ، له صوت أغن قد يهدهد وقد يمزق أو ابتسامة ثابتة كمركز إشعاع فيها التودد والسخرية والتواضع والكبرياء ، وأحيانا تكون خلوا من أي تعبير ، وتكون ابتسامة على أي حال .

(تلميذة محمد عبد الحليم عبد الله ، أبريل ٦٤ مؤلفة :لقاء بين جيلين ، صـ ١٢٠)

* وحين فاز الأدب العربي بجائزة نوبل ممثلا في شخصي رشحت وأهديت الأستاذ يحيى حقي هذه الجائزة كواحد من المبدعين الممتازين الذين يستحقونها لولا الحظ الذي جعلهم لم ينالوها ؛ فقد كانت القصة القصيرة التي يكتبها الأستاذ يحيى حقي من أجمل ما كتب في الأدب المصري والعربي المعاصر ، وهو أحد عمدها المؤسسين ، مافي هذا شك أو تجاوز .
(نجيب محفوظ١٩٩٤م)

* حاول يحيى حقي أن يصنع لنفسه الضوابط والقيود التي رأى ضرورة استخدامها في السرد والوصف ، ولم يعلق أهمية كبيرة على الموضوع أو الشكل أو على القصة .... له ذاتيته المستقلة ، إنما كان همه الأول ونصيبه الوحيد وقلقه الدائم هو التعبير بأسلوب حتمي محدد . (د. سيد حامد النساج)

* أما حياته فقد كانت بالنسبة لي ثروة كبيرة ، وكانت وفاته خسارة أكبر . (نجيب محفوظ)

* لعل من أهم الشهادات في حق أمير الأدب العربي (يحيي حقي) شهادة الكاتب الكبير صبري موسى عنه ، ولذلك أحببت أن أوردها كاملة نقلا عن كتاب : الملتقى الإبداعي البريدي الأول ، دورة يحيي حقي ، وهذا نصها:

يحيي حقي وأنا :

(شهادة عن يحيي حقي ، أو شهادة ليحيي حقي ، أبو الذوق وعطر الأحباب ..
وهل يحتاج يحيي حقي إلى شهادة وعطره يفوح من أرجاء حياتنا الثقافية والعامة فيبهج النفوس ويعطرها بقيم القناعة والصدق مع النفس والإحساس بالآخرين والذوبان حبا أو توقا أو تذوقا لكل ما هو بسيط وأصيل وفيه منفعة للناس .
إنه هو نفسه عطر الأحباب الذي يجعله عنوانا لأحد كتبه يسري بيننا مع النسيم كالنسيم بين الأجيال التي تتابعت بعده في حرفة الكتابة ، أو نحن المصريين جميعا يمدنا وجوده بالشجاعة والطمأنينة .. فإن العملة الجيدة تستطيع أيضا أن تطرد العملة الرديئة من السوق ، وإن التعفف والقناعة والهرب من الأضواء الكاذبة هي غذاء الأصالة والكبرياء الفنية العميقة .
تسأله صحفية شابة كيف يبدأ يومه وكيف يختمه ، فيقول لها: ماأهمية ذلك ؟ هذا النوع من الأسئلة لا داعي له ولا أهمية ، فرضتها عليكم تقاليد إذاعية غير صحيحة ، إن عالمي فكري ، سواء كنت نائما طول النهار أو طول الليل، أو جاءني أرق وصحوت شهرا أو نمت شهرا .. ماذا يهم ؟
ثم يحكي لها عن طفولته فيقول ببساطة محببة يعجز عنها الكثيرون ممن يتلمسون الادعاءات لطفولتهم : " كانت أمي هي عماد الأسرة .. ربتنا بيديها ، تخيط ثيابنا ونحن ستة ، وتطبخ وتطعمنا متكلفة في ذلك أشد العناء ، متحايلة للوصول بنا مستورين إلى آخر الشهر.. إذا قدمت لنا طعاما

نزرا لايسمن ولا يغني من جوع ضاحكتنا وصبت علينا وجبة مرح وكأنما اجتماعنا إلى المائدة وجبة مسلية "
ويضيف : " أمي هي التي ربتنا بلسانها تحثنا على الاستقامة والمذاكرة والجد ، كسوط صاحب الجواد الأصيل ، له وقع وليس له لسع "
... كفنان الأرابيسك أو لاصق الفسيفساء ، بهرنا بأسلوبه ونحن شباب غض نحبو في الأدب مع بداية الخمسينات .. ذوق عربي منمق ، مضمخ بعطرشرقي وشعبي لاذع .
وعندما ظهرت روايته الصغيرة " دماء وطين " في سلسلة اقرأ في منتصف الخمسينات لم تكن لي علاقة بالسينما سوى مشاهدة الأفلام السينمائية ، وبالذات ما يصنعه الغرب منها ، وكان الفيلم الأمريكي " دماء ورمال " المأخوذ عن قصة الحب الشهيرة التي تقع حوادثها في حلبة مصارعة الثيران في إسبانيا يملأ شاشات العرض ، ويثير جدلا شديدا بين هواة الأفلام ، فأعجبتني السخرية التي خبأها يحيي حقي في اختياره لعنوان روايته الصغيرة " دماء وطين " .. لا عجب فهي قصة تدور حوادثها في صعيد مصر في الثلاثينات حين كان الصعيد منفى يعاقب الموظفون غير المرضي عنهم بالنقل إليه ...!
هذه القصة الدموية أثارت ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية والفنية حين نشرت عام ١٩٥٦م ، ولفتت أنظار السينمائيين ، كانت الواقعية الإيطالية في السينما العالمية متألقة وقتها ، وكانت الموجة الحديثة الفرنسية جنينا لم تتحدد ملامحه بعد .. وقد كتب الفنان رائعته بأسلوب أدبي متقدم يعتمد على

الاستخدامات الحديثة لـ "فلاش باك" " العودة إلى الماضي " ويعتمد أيضا على المنولوج الداخلي الذي كان سمة التطور بالأساليب الروائية في الغرب ذلك الحين ، كانت الرواية مكتوبة بأسلوب حديث متقدم جعلها كثيرة الاختلاف عما تعودناه في الرواية العربية ، وجعلها أيضا شديدة الاقتراب من الأساليب السينمائية الحديثة التي بدأت تظهر في منتصف الخمسينات مما جعلها حديث السينمائيين المصريين ، وتعددت الأخبار في المجلات والصحف عن استعداد المخرج "زيد" أو المنتج "عبيد" لتقديمها في السينما المصرية وكثرت المحاولات أن توضع في مجال التنفيذ الفعلي .. ثم .. بعد بضع سنوات بدأت تنتشر مقولة لعدد من السينمائيين المحترفين في ذلك الحين مؤكدة بأن هذه القصة "دماء وطين " أو " البوسطجي " هي نوع من الأدب لايصلح للإعداد السينمائي .

بل إن هذه المقولة قد شملت كل ما يكتبه الفنان يحيي حقي من قصص بشكل عام ، فقاطعتها السينما المصرية رغم تكالبها على القصص الأدبية في تلك الأيام ، ولم تنتبه تلك السينما ليحيي حقي وقصصه إلا بعد ظهور فيلم "البوسطجي" ونجاحه !

لقد شعرت أيامها كأديب مهتم بالسينما أن هذه المقولة ظلم فادح لأدب يحيي حقي وعجز ممن يتولون أمور السينما ، وحين قررت التصدي لتحويل هذا العمل الأدبي إلى معادله السينمائي لاحظت أن الشكل المتقدم الذي كتبت به القصة واقترب بها من السينما الجديدة في ذلك الحين وخلق حولها

كل هذا الإغراء عند السينمائيين المصريين سوف يكون إطارا متنافرا مع تلك الدراما الدموية التي تقع حوادثها في مجتمع متخلف في الثلاثينات من هذا القرن إذا تم تحويلها إلى صور متحركة بنفس الأسلوب . كانت تلك الملاحظة أو هذا الإدراك أشبه بالمأزق ، فقد كانت الموضة أيامها عند تحويل الأعمال الأدبية هو البحث عن أشكال حديثة بديلة لأشكالها الروائية التقليدية .. رغم ذلك فقد اتخذت القرار أيامها بشجاعة أحسد عليها .. وبدأت في انتزاع "دماء وطين " من الإطار الحديث المتقدم الذي وضعها فيه الفنان يحيي حقي ، ثم أعدت صياغتها سينمائيا بأسلوب تقليدي يناسب المكان المتخلف والزمان المتخلف الذي تدور فيه أحداث القصة ، مع إضافة بعض الطعم الملحمي كتعويض عما تركناه من حداثة الشكل القصصي .

لقد أصبح فيلم البوسطجي ملكا للتاريخ الآن ، ومنذ ظهوره في عام ١٩٦٨م كإحدى العلامات الهامة في السينما المصرية .

وتبقى تلك الإضافة حول هذا الحوار الفني الذي دار خلال فعل الكتابة ، بين فنان كبير من جيل راسخ، وفنان مبتدئ من جيل تال له ، وأعتقد أن حوارا فنيا لمثل هذا لم يكن ممكنا أن تتاح له الفرصة مالم يكن الفنان الكبير هو يحيي حقي ، أبو الذوق ، وعطر الأحباب)

ماذا يتبقى لنا من يحيى حقي ؟

في مساء السابع والعشرين من فبراير ٢٠١٠ م وفي حديقة نادي طنطا الرياضي وحول حمام السباحة ،ذلك المكان الشاعري اجتمع أعضاء نادي أدب طنطا يحتفلون بحضور السيدة /نهى يحيي حقي الحفل الذي أقيم إحياء لذكراه العطرة حضر لفيف من الأدباء والمفكرين والصحفيين وأصحاب الرأي والقلم ، حضر الأستاذ الدكتور المثقف الكبير عبد الوهاب كامل عميد كلية التربية .. والسيد الأستاذ مبارك مصطفى مدير عام ثقافة الغربية ، والأستاذ مصطفى منصور رئيس نادي الأدب وجميع أعضاء النادي وأعضاء نوادي الأدب بالمحلة الكبرى وكفر الزيات كما حضر أدباء وشعراء من محافظة كفر الشيخ والقاهرة ، بالإضافة إلى عدد من مثقفي أعضاء نادي طنطا الرياضي والأستاذة رئيس اللجنة الثقافية آمال أبو باشا ، وكانت أمسية مزدانة بذكرى يحيي حقي مملوءة بأنفاس المحبة والوفاء لرجل من رموز الأدب العربي الحديث ..وقد أدار اللقاء الأستاذ الأديب / فوزي شلبي والأستاذ الأديب فخري أبو شليب .. وفي نهاية الحفل كانت للسادة الحضور بعض المداخلات القيمة ، وكانت لي مع بعضهم لقاءات أسجل بعض أهم ملامحها على السطور التالية ..

كانت مداخلة الأديب محمد عبد السميع نوح ذات قيمة ثقافية مهمة فتوجهت إليه ..

الأستاذ / محمد عبد السميع نوح ..

ماذا يتبقى لنا من تراث يحيي حقي ؟

ـ الأديب إنسان قبل أن يكون أديبا .. بل هو إنسان بكل معاني الإنسانية .. نتكلم عن الأديب بشكل عام .. وإذا اختل في شخصية الأديب معنى من معاني الإنسانية انعكس ذلك الخلل على فنه فكان أديبا منقوص الرؤية وكان غير مقنع لجمهوره أوقرائه .. هذه بديهية في الفن ، كما أن اعتزاز الأديب بكرامته وصيانته لها عن أن تمتهن أمر لاشك في أهميته ، بل هي مع الموهبة وقود توهجه ودليل أصالته ..

ولنا في تاريخنا الأدبي العربي من الشخصيات من حاز مرتبة القدوة بامتياز .. ففي كتاب حياة الرافعي لمحمد سعيد العريان ، أن أديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي كان في إحدى مراحل عمره شاعر الملك وهو منصب مرموق في عصر الملك فؤاد ، وكانت للرافعي حاجة عند رئيس ديوان الخاصة الملكية وقد انتظر الرافعي الدور في الدخول إليه يوما كاملا ثم يوما آخر والرجل مشغول مع وفود أجنبية ، وفي اليوم الثالث لم يستطع الرافعي الانتظار فضرب الباب بعصاه ودخل بلا إذن مرفوع الرأس وتكلم مع الرجل بكبريائه المعروفة مما تسبب في عزله عن منصبه ذاك وتعيين أحد خصومه (عبد الله عفيفي) ولم يكن الرافعي ليعبأ بذلك ، فظل شامخا مرفوع الرأس معتزا بأدبه إلى آخر رمق ..

وكلنا يعرف قصة العقاد في نفس الفترة في البرلمان حين لمَّح إلى الملك (أكبر رأس في البلد حسب عبارة العقاد)

بإساءة بالغة ، وكانت سببا في إيداعه المعتقل ، ولم يتنازل العقاد عن مبدئه ، وظل شامخا إلى الرمق الأخير ..
أختم هذه المقدمة بهذا الملمح الثالث عن الشاعر "نزار قباني " وقد طلبت إليه فرنسا أن يرسل لها أوراقه وسيرته حتى يتمكنوا من إرسال الدعوة إليه لحضور مهرجان أدبي هناك ، فما كان من نزار إلا أن رد عليهم بما معناه : " على الدولة التي تريد أن تدعو أديبا أن تقدم هي أوراقها إليه " !!!
لماذا نقول هذا الكلام ؟؟ وما أهميته ؟؟ وما علاقته بكتاب عن الراحل العظيم يحيي حقي ؟؟
الجواب يسير ، وهو أن يحيي حقي ينتمي بالفعل إلى هذه الطبقة من الأدباء المحترمين الذي لم يضعوا أنفسهم وأدبهم في الطرف الضعيف من المعادلة .
لقد عرف الأدب العربي ما نطلق عليه "الشعراء الصعاليك " ولكن هل تتناسب البيئة الحالية لهم ؟ وهل بقيت مفردات البيئة العربية مواتية لفئة منهم تتصعلك بالطريقة التي كانوا عليها ؟
بالطبع لا .. فإن عصورهم لم تكن إلا العصور البدائية التي تسيطر عليها الحياة القبلية بكل عناصرها .. حتى إذا تماسك العرب كدولة تحت ظل الإسلام اختفى هذا المصطلح وصارت للشعراء دولتهم الأدبية التي يمارسون الأدب تحت مظلتها .. فما الداعي اليوم لظهور فئة من هذا النوع المرفوض اجتماعيا يتسكعون على مقاهي القاهرة

وعواصم الأقاليم يمارسون الفهلوة والاستغلال متخفين تحت اسم الأدب ؟
أضع هذه الصورة المرذولة بجوار صورة يحيي حقي لنعرف الفرق .. يحيي حقي الذي كان يهرب من الأضواء الخادعة والبريق الزائف ويفر من الشهرة الجوفاء فراره من الأسد ,, ونرى اليوم كثيرا من الكتاب لاينفكون عن أبواب المؤسسات الثقافية ودور الإعلام بأشكالها في إلحاح مقيت لخطف أية فرصة سانحة وحرمان الآخرين منها ، وإن كان هؤلاء الآخرون أدباء حقيقيين يستحون من الإلحاح على هذه الطريقة (التسوليّة) وكان حياؤهم سببا مباشرا في إتاحة الفرصة للأدعياء للتربع على منصات الكلمة وليسوا من أهلها .. ولا لوم على المؤسسات الثقافية الرسمية ودور الإعلام ، لأن القائمين عليها موظفون وليسوا نقادا ، ولذلك فإنهم كبشر عاديين لايملكون الأدوات التي تمكنهم من حجب المدعين أو التفريق بينهم وبين الأدباء الحقيقيين ، فسادت روح من المجاملات والمداراة لبعض الشلل التي إن مُنعت من مآربها أثارت الشغب حول هؤلاء المسئولين (الموظفين) فلذلك نراهم يختارون سكة السلامة ، ويقع الأدباء الحقيقيون ضحية السقوط الإنساني لدى المدعين واختيار سكة السلامة من قبل المسئولين..!!!
- وماذا بعد ؟؟؟
- لا شيء إلا المزيد من الضعف والتردي لأدبنا العربي ، نحن أمة تملك تراثا أدبيا عز نظيره ، وعلينا أن نسعى في

الحفاظ على كنوزه والإضافة إليها بالكيف والكم الذي يستحقه هذا الأدب الرفيع . ولكن كيف يتم ذلك وأصحاب المواهب الحقيقية أو أكثرهم مايزالون في الظل بينما تطفو سحابات دخانية خالية من الغيث فتملأ حياتنا الأدبية بالضجيج الفارغ ..
الدرس الذي علينا نحن الأدباء أن نتعلمه من عاطر الذكرى يحيي حقي هو أن نعي قيمة الأدب ومكانة الأديب وأن نعتنق فكرة عزة النفس والكرامة والإيثار وإنكار الذات ، هذه هي مقومات الشخصية الإنسانية بعامة ، وهي في شخص الأديب أكثر أهمية ، فالأديب ضمير أمته ومرآة عصره ، كيف تكون ضمائر الأمة في كتّاب الفرص والاستغلال ؟ كيف تكون ضمائر الأمة في هذه المرايا الصدئة ؟
ثم توجهت بالحديث للأديب القاص عبد الخالق محمد عبد الخالق :
أستاذ عبد الخالق
ـ كيف يمكن أن نرى العالم من منظور يحيي حقي ؟
ـ إذا كان الرجل هو الأسلوب ـ كما يقولون ـ فإن أسلوب يحيي حقي ينبع فعلا من ذاته ويدل عليه دلالة واضحة ، فلا تكاد تجد انفصاما بين المبدع وإبداعه ، وهذه ميزة لا تتوفر للكثيرين من الذين يكتبون ، أما أن تجد الكاتب يكتب على غير ما يفكر ، وتصدمك بعد ذلك رؤيته للحياة وللناس فأنا لا أنسى ماقاله أحد الكتاب : " لا تسألوني عن حياتي الشخصية وما يحدث فيها ، عندكم كتاباتي فيها كل الأفكار

المثالية " العكس صحيح عن الأستاذ يحيي حقي ، فحياته ومبادئه لا ينفصمان عن بعضهما البعض ، يكتب مايقول في صدق ، ويشعر بما يكتب وكأنه والكتابة جزء واحد ، فلم يفتعل شكا لكي يلفت إليه الأنظار ، وهو الأمر الغالب في تلك الفترة التي ظهر فيها يحيي حقي ، كان هناك من يجدف بما لا يعلم لكي يلفت إليه الأنظار ، وهناك آخرون كتبوا بتعال ، وكأنهم يكتبون لقوم آخرين ، متناسين أن الكاتب إنما يكتب لأهله والناس الذين يعيش بينهم ، يلفت الأنظار في يحيي حقي بعد توازن الرؤى ، والتماسك الإبداعي أنه كان يكتب ما يعلم ويعيشه بالفعل ، في قنديل أم هاشم يرى أن الدين لا يتعارض إطلاقا مع العلم ، وأن غايتهما خير الإنسان وسعادته ، فقد كان بطل قنديل أم هاشم يرى العالم من منظور أحادي وهو المنظور العلمي ، والذي كان متفوقا فيه ، وفي لحظة فارقة خذله هذا العلم ، فلما حدث في نفسه التوافق بين رؤى العلم ورؤى الدين استقامت رؤيته واستطاع أن يعيد الإبصار لمن يحبها بعد أن كانت مهددة بالعمى النهائي ، نعم إن لكل من الدين والعلم بصيرة خاصة يحتاج إليها الإنسان لكي تستريح روحه وينسجم وجدانه مع الحياة ، كتب تلك الرواية في ذات الوقت الذي كتبت فيه عشرات الكتب عن أنه يجب أن يتخلص الإنسان من كل ما يعتقد وأن يولي عقله شطر المعامل فقط لكي يؤمن بما يراه في المعمل فقط ، مشككين في العلاقة الروحية بين الإنسان وربه ، مكتفين بالعلوم التجريبية معتقدين أنه لا حقيقة سواها .

واجمل ما عند يحيي حقي في هذا الموضوع أنه كان يكتب وهو مقتنع بكل حرف خطه على الورق دون أن يزعم أنه يخوض تجارب بين الشك واليقين ، وهو ما قاله عن نفسه : " أنا أكتب ما أعرفه وما أشعر به " وفي رواية البوسطجي يدخل بنا في أجواء ملتبسة مقدما قصة عاش بعض وقائعها وعندما أراد أن يسجلها على الورق لم يفكر في أن يفرق بين صاحب عقيدة وآخر ، بل فكر في الإنسان على أنه إنسان يحب وقد يجعله الحب يدفع عمره ثمنا لخطأ لم يرتكبه .

إن مثالية يحيي حقي تكمن في التواؤم والتوازن الإبداعيين واللذين افتقدهما الكثيرون ممن كتبوا في تلك الفترة ، وكان جل همهم أن يحققوا خروقات كثيرة في الإبداع دون النظر إلى ما ينتج عما يكتبون حتى على أنفسهم . فالرجل قد حقق لنفسه وإبداعه توازنا ملفتا للأنظار لكي تبقى كتاباته شاهدة على إيمانه العميق وصدقه مع نفسه ، وكان يسخر من مبالغات بعض المبدعين وهم يصورون أنفسهم على غير حقيقتها حتى لو اتهموا أنفسهم بأشياء ليست فيهم دون أن يفكروا في أن الإنسان لا يشتهر بما هو شاذ أو مشين ، ولكن كما يقول سقراط : " يعرف الناس بالحقيقة وحدها " .

ثم توجهت بالحديث إلى الأستاذ الشاعر إبراهيم جعفر :
الأستاذ إبراهيم ـ هل يمكن أن تحدثنا عن علاقة أديبنا الراحل يحيي حقي بالنقد الأدبي ؟

نعم .. كنت أعددت دراسة بعنوان : الموقف النقدي عند يحيي حقي ..أحاول تلخيصها في كلمات :
- برغم الإنجاز المبهر الذي قدمه يحيي حقي في القصة القصيرة والرواية القصيرة من حيث التقنية والشكل والمعمار الفني لها مع إعطاء المذاق المصري الدافئ في المضامين وأيضا على مستوى الخطاب الإنساني ، برغم ذلك كله فقد كانت له تأملات نقدية جديرة بالدراسة والاهتمام ، لأن هذا النقد صادر عن مبدع يتمتع بثقافة شمولية في فنون الأدب والفن التشكيلي والموسيقى والمسرح والسينما ، ولكي نطمئن إلى هذا الكلام نبدأ باستعراض أسماء كتبه النقدية من بين مؤلفاته التي صدرت ضمن مشروع الأعمال الكاملة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .
بلغ عدد ما أنتجه هذا المبع العملاق ثمانية وعشرين كتابا ، جمعها من الصحف والدوريات لمدة عشر سنوات الأديب المبدع والناقد الصديق الوفي ليحيني حقي الأستاذ فؤاد دوارة ، فجزاه الله خيرا عن الأدب لما أسداه من كبير فضل لصديقه وللأدب ، ولما في هذا العمل من تكريس لقيمة إنسانية من قيم الوفاء الذي شح بل ندر وجوده في هذه الأيام !
لقد فتح الأستاذ فؤاد دوارة كنوزا كانت مخبوءة كادت أن تتبدد فلا تقع أعيننا عما بها من نفيس الدرر وأصيل الجوهر .
أما كتب يحيي حقي النقدية فثمانية وهي :

فجر القصة القصيرة
عطر الأحباب
مدرسة المسرح
هموم ثقافية
عشق الكلمة
في السينما
في محراب الفن
هذا الشعر

من خلال قراءة العناوين يتبين لنا كم كان هذا المبدع يتمتع بثقافة شمولية في فنون الأدب ، مما أهله أن يقدم نوعا من النقد الجمالي ، النقد المعتمد على الذوق ، النقد التأثيري الذي يجدد المفاهيم ويعدد الرؤية لمعنى الفن والأدب ، ومدى التماس بالواقع ومدى علاقة المبدع والإبداع بالمجتمع .

سوف تأخذك الدهشة من رحابة فكر هذا العملاق وكيف كان ينظر إلى الفنون عامة بأشكالها المتنوعة ، وتزداد دهشة لامتلاكه كل هذا الإحساس المرهف بالأدب واللغة ، والذوق الرفيع في كل ما تناوله بحاسته النقدية المبدعة ، وهذا ما سنتناوله في الصفحات التالية مستأنسين بواحد من أهم كتبه وهو " هذا الشعر" وستكون لنا وقفات ، ولن نسلم بكل ما يذهب إليه ، والأهم هو وقوفنا من خلال هذا الكتاب على جانب هام جدا ربما لايعرفه الكثيرون من أبناء الجيل وهو الجانب النقدي فيما يتعلق بالشعر خاصة والشعراء ، ونقف على مدى احتفائه بالشعر ، وكيف كان

يتذوقه ، وما هو مدخله لتذوقه ، وتذوق الفن عموما ، حيث كانت له ذائقة تميزه عن كثيرين وهي ما يمكن عزوها إلى المنهج التأثيري ، وهذا المنهج التأثيري هو الغالب على نقد أي مبدع في نقده للأدب ، وهذه ظاهرة تستحق التوقف عندها بدراسات تحليلية مطولة لنعرف سر تفضيل المبدعين لهذا المنهج بالذات مهملين في الغالب المذاهب النقديةالأكاديمية الأخرى .

ومن المهم قولنا إن يحيي حقي صاحب ملكة خاصة في تذوق اللغة ، فما بالنا إذا عكف على تأملها في تجليها الأكثر صفاء والأصفى والأعذب ألا وهو الشعر ، حيث المفردة لا يتكشف جمالها ، وحيث الجملة لا يظهر ثراؤها إلا في الصياغة الشعرية على أي لون من ألوان الشعر .

يبين يحيي حقي منهجه في تذوق الشعر ، والفن بعامة ، فيقول :

" صفة الفن ، سر خلقته وديمومته ، شرفه وجذله ، أنه منبع استلهام لا ينفد، من نوره نقتبس ألوانا متباينة الطاقات لها ماشاءت من الألوان ، ثم تعود تنعكس عليه فيتلألأ بأطيافها جميعا ، هو حياة وانبعاث ، وفاء ووعد ، تمام ونمو، إنه ثبات وتجدد ، إبانة وتكشف ، هو تفرد ومكاشفة ، نداء ومحاورة ، وما أشبه الفنان بجمرة تئز بالحب والجمال ، يتوهج فيها الحس والأداء ، يتناثر منها شرر وثاب ، يطوي الزمن والأرض ويقع - لايهم متى وأين - على حطب يتلقفه فإذا سنا ضوئه يخطف الأبصار ، وإذا

بالناس جيلا بعد جيل تقع عيونهم منه على ضياء متجدد لاينقطع " من كتاب " هذا الشعر صـ٥ "
بهذه الرؤية وهذا الفهم الواعي لشمولية الفن وإدراكه بأن هناك خيطا رفيعا يربط بين ألوان الإبداع المختلفة، وأنه لا بد من جدلية هامسة تربط بين المبدع وفنه على خصوصية ما ، لايستطيع أن يجليها إلا صاحب نظرة ثاقبة نافذة في العمل الفني ، نرى أن يحيي حقي من أصحاب هذه النظرة إلى أعماق النص ، وهو ما أكسبه عبقرية في استقصاء النص الشعري فيأخذ منه ويعود إليه بعدالبحث عن الرابط النفسي بين النص ومبدعه، من خلال هذا الغوص تتكشف له طلاسم التجربة وتبوح القصيدة بأسرارها ، وبهذا المفهوم تعامل يحيي حقي مع الشعر وغيره من الفنون .
ولحسن حظنا يكشف لنا عن منهجه الذي يدخل بواسطته إلى عالم النص وذلك من خلال ملاحظتنا لشديد اهتمامه بالتجربة الأدبية وأنه لابد للناقد من أن يستفيد منها ، فهي مفتاح الناقد للدخول إلى عالم الشاعر الذي غالبا ما يحاول التماهي وراء النص ، ومن هنا نلمح أن يحيي حقي يدفعنا إلى أن يلح علينا هذا السؤال : هل يمكننا أن نحدد لرؤية ومنهج يحيي حقي في النقد سمات خاصة ؟
الحقيقة أن الرجل وفر علينا مؤونة البحث عن مذهبه النقدي وذلك من خلال ما ورد في كتابه " خطوات في النقد" حيث يقول :
" لا أنكر أنني لم أخرج عن دائرة النقد التأثري ، فليس في كلامي ذكر للمذاهب ، ولعل السبب أنني لم ألتحق بكلية

الآداب في إحدى الجامعات فأدرس النقد دراسة منهجية تاريخية "

إلا أن من يتابع الشعر الذي تناوله بالنقد يكتشف أن يحيي حقي لم يقف عند حدود التذوق التأثري ، وإنما يهتم بالدلالة الاجتماعية ، فيقول في كتابه عطر الأحباب : " يدفعني مزاج فطرت عليه إلى أن يكون من أحب مطالبي من العمل الأدبي الانتفاع بثمرتين غير مألوفتين تجد فيهما نفسي راحتها وغذاءها المفضل : الأولى هي الدلالة الاجتماعية ، والثانية هي الدلالة على مزاج المؤلف "

ويقول " من أجل هذا أحب متى فرغت من تقييم الأثر الأدبي وفقا لقواعد المذهب المتعارف عليها اليوم أن أتجاوزها أيضا إلى تأمل وجه المؤلف الذي لا أجده في الفنون الشعبية ، وجه الفرد الذي أمدني بغذاء للعقل والروح ، إن همي الأكبر أن أتصل به وجدانيا ، أن أطل من خلال الكتاب على أسرار قلبه وعقله ، وأتعرف طبعه ومزاجه ، واعتداله وانحرافه ، وقصده وحيلته " هل معنى هذا أن يحيي حقي لم يخرج عن النقد الانطباعي التأثري الجمالي المعروف سلفا ؟

عموما هذا النوع من النقد هو الأقرب إلى مزاج المبدعين ، غير أن يحيي حقي يغنيه بخبراته الإبداعية وذوقه الرفيع وتأملاته ونزعاته الخصوصية التي تعكس موقفه كمبدع من وظيفة النقد وجدواه .. فما هي وظيفة وجدوى النقد في رؤية يحيي حقي ؟

يقول يحيي حقي في كتابه : عطر الأحباب : " أما نفع هذا النقد فإني من المؤمنين أن معرفة النفس تدعيم لا زلزال ، فأحسب أنه ينفع المؤلف لأنه يعينه على إدراك تكوينه الفني / كما تنعكس صورته من خلال كتابه عند الباحث من خلال هذا التكوين ، وحتى لو بقيت لديَّ شبهة بأن مثل هذا النقد قد يضر المؤلف لأنه يعينه على إدراكه للعقد النفسية ، فإنه سيكون قاضيا عليها ، شافيا له منها ، قاضيا بالتالي إلى حفزها له على الإنتاج في المنهج الذي أتيح ويُسِّر له ، وجاء موافقا لطبعه حتى لو صدق هذا .. فإني بريئ من نية الإفساد ، لأني اعتقد أن المؤلف معتد دائما بنفسه ، لا يقرأ النقد ، وإذا قرأه لا يتأثر به ، وحتى لو قرأ وتأثر لا يمتنع عليه أن يقيم توازنا جديدا "

وهذا كلام نتحفظ عليه حيث يجعل المبدع في أنفة دائما من النقد ، وهذا يضر بالأدب ، لأن النقد الواعي هدفه خلق إبداع راق ، ومبدع حصيف ، أما أن يذهب إلى أن المبدع دائما معتد بنفسه لا يأبه بالنقد فهذ لايفيد .

ويذهب يحيي حقي إلى أن الناقد لابد وأن يأخذ من النص ما يستطيع به سبر أغوار التجربة الفنية ، أي يستقي مفاتيح النص من داخل التجربة الفنية ذاتها ليستخدمها في كشف طلاسم التجربة الفنية فيبوح النص بأسراره . ولولم يفعل النقد ذلك ما تلألأ النص الأدبي تحت وقع تناوله بالأطياف التي فجرتها فيه الأنوار المستقاة منه والمقتبسة من داخله.

ومن خلال تتبع منهج يحيي حقي النقدي للشعر تتضح لنا الأهمية القصوى للغة ،حيث أبرز لنا العلاقة بين ثراء الشعر وإمكانات اللغة التي يستخدمها الشاعر، فكل اهتمام باللغة ينطوي على تفتيق لإمكاناتها الشعرية ، ولكي يبلور - حقي - مفهومه الخاص بالشعر للقارئ فإنه يسلك كل الدروب المفضية إلى ذلك من الدراسة العامة إلى المقالة المثيرة للتساؤلات ، إلى التحليل النصي التفصيلي لديوان يفصص فيه قصائده ويكشف من خلالها عن آليات عمل عقل الشاعر وأسرار موهبته .

أهم مؤلفاته :

١ - قنديل ام هاشم - مع سيرة ذاتية للمؤلف .
٢ - فجر القصة المصرية - مع ست دراسات عن نفس المرحلة .
٣ - فكرة فابتسامة .
٤ - صح النوم .
٥ - خطوات في النقد .
٦ - دمعة فابتسامة - مع الدعابة في المجتمع المصري .
٧ - دماء وطين - مع قصص أخرى من الصعيد .
٨ - تعال معي إلى الكونسير - مع الكاريكاتير في موسيقى سيد درويش .
٩ - ناس في الظل - مع شخصيات أخرة .
١٠ - أم العواجيز .
١١ - حقيبة في يد مسافر - مع رحلات أخرى .
١٢ - عطر الأحباب - مع عشرين دراسة أخرى .

١٣ ـ عنتر وجولييت ـ مع عشر لوحات أخرى .
١٤ ـ ياليل ياعين ـ سهراية مع الفنون الشعبية ـ مع مقالات السيرك والمولد .
١٥ ـ أنشودة للبساطة ـ مقالات في فن القصة .
١٦ ـ خليها على الله .
١٧ ـ صفحات من تاريخ مصر .
١٨ ـ من فيض الكريم .
١٩ ـ الفراش الشاغر ـ وقصص أخرى .
٢٠ ـ مدرسة المسرح .
٢١ ـ هموم ثقافية .
٢٢ ـ تراب الميري .
٢٣ ـ عشق الكلمة .
٢٤ ـ من باب العشم .
٢٥ ـ في السينما .
٢٦ ـ هذا الشعر .
٢٧ ـ في محراب الفن (موسيقى ـ تشكيل ـ عمارة)

المراجع

* محمد عبد الحليم عبد الله (١٩٨٤م) لقاء بين جيلين .. دار مصر للطباعة
*رسائل يحيى حقي إلى ابنته ... تقديم نجيب محفوظ ... تأليف إبراهيم عبد العزيز .. مكتبة الأسرة ٢٠٠١م
*يحيى حقي ، الجوهر ، الإشعاع ، الظل .. إعداد : فؤاد قنديل .. الهيئة العامة لقصور الثقافة
* مجلة الثقافة الجديدة العدد ١٥٢
* مجلة الهلال ، عدد فبراير ١٩٨٥م
* كناسة الدكان : يحيى حقى، كتاب الهلال، طبعة عام ١٩٨٨م.
* أبناء رفاعة - الثقافة والحرية : بهاء طاهر، كتاب الهلال، طبعة عام ١٩٩٣م.
* أساليب السرد فى الرواية العربية : صلاح فضل، سلسلة، كتابات نقدية، العدد : ٣٦، الناشر الهيئة العامة لقصور الثقافة.

الفهرس

رقم الإيداع : ١١٨٧٣ / ٢٠١٠

ذو هِمَّةٍ سَبَقتْ به وولاءِ = في صِدْقِهِ يَعْلو على الجَوْزاءِ

يحيى فأحيا من منابع فنِّهِ = مِنْ كلِّ معْنىً صادقٍ ووفــاءِ

نجمٌ أضاءَ الفنَّ من إبداعِه = شمساً ضَوَتْ في أفقها الّـلألاءِ

عِطرُ الأحبَّةِ فاحَ من أنفاسِهِ = يَسِمُ الطّباعَ بطبْعِهِ الضَّـــوَّاءِ

هذا المُتَيَّمُ في الجمال بروحِهِ = هذا الأميرُ ، ودُرَّةُ الأمراءِ

